



الإحسان في حفظ القرآن

تطبيق على سورة المرسلات

اللقاء الثاني

أ.أنهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أساتذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لمن الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[/!#/http://tafaregdros.blogspot.com](http://tafaregdros.blogspot.com/)

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

[/http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net)

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستعفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

من عناصر الدرس:

- مراجعة المسائل الخمسة.
 - الإجابة على سؤال : ما المسلك الحسن الذي أسلكه مع القرآن فأصل به إلى درجة الإحسان؟ بخطوات.
 - أول خطوة تعظيم القرآن (الإخلاص)، كيف؟ بجمع وصفاته.
 - حل تكليف أمس: (جمع وصفات القرآن من القرآن) أول صفة أنه (لا ريب فيه).
 - ماذا أفعل لكي أصل إلى اليقين أنه لا ريب فيه؟ أربعة أمور أعتقدها في القرآن، وأربعة أمور أحذرهما.
 - واجبنا تجاه الأبناء وتربيتهم وبناء عقيدتهم من القرآن.
 - من وصفات القرآن أنه شفاء، وذكر أمثلة لعلاج القرآن لأمراض قلبية (الشح، الكبر، الأحزان).
 - ثاني خطوة سلوك منهج من سلف (المتابعة).
 - منهج السلف مع القرآن :
 - (أ) السلف خلصت نيتهم.
 - (ب) السلف كان غرضهم الأعظم من التعامل مع القرآن هو زيادة الإيمان، فكان أثره عليهم هو زيادته.
 - (ج) السلف همهم الفهم وليس الاستكثار من الحرف.
 - استعانوا على الفهم بعدة أمور:
 - 1. الترتيل
 - 2. التغني به.
- نكمل باقي النقاط في اللقاء القادم..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاءنا الثاني في هذا البرنامج وهو (الإحسان في التعامل مع القرآن)، وقد اتفقنا أمس على خمسة مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بأن القرآن كلام الله، الإيمان بالقرآن واعتقاد أنه ركن من أركان الإيمان ومراعاة هذا الأمر وبذل الجهد في زيادة الإيمان، واتفقنا أن المؤمن لا يكفيه أن يؤمن بهذا الركن بل بأركان الإيمان كلها إيماناً ابتدائياً، لا بد أن يطلب لنفسه زيادة الإيمان.

المسألة الثانية: أن القرآن هو خاتم هذه الكتب وهو المهيمن عليها، واتفقنا وناقشنا معنى أنه مهيمن على الكتب.

المسألة الثالثة: أن الله عزّ وجلّ لما أنزل القرآن كان مما أوحاه تعالى لنبيه ولأمته من بعده هذا الخطاب المهم الذي يؤدّبنا مع

القرآن: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^١ أول تقرير: منع العجلة في التعامل مع القرآن .

﴿إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾^{١٧} ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِعْ قُرْآنَهُ﴾ يعني اسمع ثم اتلوه وردّده، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^١ إيضاحه وتبيينه،

فمن العناية بالقرآن العناية بالتوضيح والبيان، ومن ذلك أتت السنة النبوية.

المسألة الرابعة: أمر الله عزّ وجلّ المؤمنين بالتدبّر، وإن كانت الآيات التي أتت فيها الكلام عن التدبّر خوطب بها الكافرين

والمناققين، دليل على أن الكفر والنفاق سببه عدم تدبّر القرآن.

المسألة الخامسة: أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن أحوال الناس مع القرآن. هل كل من قرأ القرآن كان من أهله؟

الجواب: لا، ما دليلك أن الإنسان ممكن أن يقرأ القرآن ولا يكون من أهله؟ الحديث الذي بدأنا به، ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ

الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأَنْجَبِيِّ، طَعَمَهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ...))^٢، هذا مؤمن يقرأ

^١ [القيامة: ١٦-١٩]

^٢ "سنن ابن ماجه" (باب: في فضل من تعلّم القرآن وعلمه / ٢١٤) قال الألباني: صحيح.

القرآن، أيضاً المنافق يقرأ القرآن، وصفه الله كالريحانة، معنى ذلك أنه ممكن يحصل قراءة القرآن من المنافق ويجتهد في قراءته ويجتهد في حفظه ويجتهد في العناية به، فقراءة القرآن ليست دليلاً على إيمان العبد.

ماذا نعمل من أجل أن نسير سيراً يجعل قراءتنا للقرآن والتعامل معه يوصلنا إلى الإيمان؟

أول الأمر من أجل أن نصل إلى الخروج من وصف النفاق والدخول في وصف الإيمان علينا أن نتعامل مع القرآن معاملة من يعظّمه، وقد قرأنا أمس كلام الآجري وكيف أن معلّم القرآن ما يجزئه أنه يتعدّى على الأوامر والنواهي ويجزئه أنه ضيّع حرفاً في القرآن! وهذا كله من علامات النفاق، يتعامل مع القرآن بل يدرّسه ما يهمله إلا أن يُعرف بكثرة الدرس، إلا أن يعرف بالمكانة عند الناس، وهذا خطر عظيم.

هل المحر هو الطريق؟ قد يقال أنا لن أدخل مدارس التحفيظ ولن أتصل بالقرآن! نقول ليست هذه الطريقة في التعامل، إنما من يقرأ القرآن عليه أن يتّصف بصفات قلبية وسلوكية من أجل أن يصل أن يكون القرآن شهادة على الإيمان.

ما المسلك الحسن الذي أسلكه مع القرآن فأصل به إلى درجة الإحسان؟

الخطوة الأولى : تعظيم القرآن

خطوة قلبية، عظموا القرآن، قال الله لنبيه ولأمته من بعده ﴿إِنَّا سُنَّلِقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^١ ما معنى ثقيل كما ذكر وفسّر المفسرين: "أي نوحى إليك هذا القرآن الثقيل أي العظيمة معانيه الجليلة أوصافه، وما كان بهذا لوصف حقيق أن يتهيأ له ويرتل ويتفكر فيما يشتمل عليه"^٢.

وهذه النقطة التي هي أن تتهيأ للقرآن سيأتينا إن شاء الله النقاش حولها، لكن المهم الأساس في الأمر أن المطلوب منك (تعظيم القرآن).

^١ [المزمل:٥]

^٢ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

إدًا أول خطوة أقوم بها من أجل أن أسلك مسلكًا المؤمنين وهم يتعاملون مع القرآن: أن يقع في قلبي تعظيم القرآن ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقِيلاً﴾ يعني قولاً عظيمًا، هذ القول العظيم علينا أن نعظمه بمعرفة أوصافه، يعني القرآن ورد فيه أوصاف للقرآن، وقد اتفقنا أمس أنكم تجمعون ما تيسر لكم من أوصاف للقرآن. ماذا وجدتم؟

نبدأ بسورة البقرة ﴿آلَهُ ۙ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إذن ما وصف القرآن؟

▶ لا ريب فيه، هذا وصف للقرآن.

▶ وأيضاً هدى للمتقين هذا وصف للقرآن.

ما معنى لا ريب فيه؟ وما معنى هدى للمتقين؟ يعني تتعامل مع القرآن وأنت تعتقد أنه صدق، أنه حق، نطبقها بشيء من التفصيل أكثر..

أتاك أخبار أتاك هنا قصة موسى وهنا قصة موسى وهنا قصة موسى هنا كلام عن عيسى عليه السلام وهنا كلام عن عيسى عليه السلام، ماذا يكون في قلبك؟ يكون في قلبك التصديق أن هذه الأحداث حصلت حقيقة بتفصيلها، الذي يقرأ ولا يتدبر ربما يشعر أنها متناقضة! بسبب أن هنا أخبار أتتك وهنا أخبار أتتك وأنت ما استطعت أن تجمع بينها، العلة عندي، المشكلة وأنا أقرأ لم أعتمد (لا ريب فيه)، فإذا لم تعتمد (لا ريب فيه) تكون النتيجة أن تنظر له بنظر الريب، ويستولي عليك الشيطان، والشك في صحة القرآن تُخرج من الإيمان! والشيطان يتولى من يتولى بهذا الأمر بهذه الطريقة، يلقي على قلوب الخلق الشك، يستقبل الخلق الشك، ويلقي عليهم المشابهة من القول، فلا يبحثون ولا يتعلمون فتكون النتيجة أن تقع في قلوبهم شك فيخرجون من الدين والعباد بالله.

ماذا أفعل لكي أصل إلى اليقين أنه لا ريب فيه؟ هذه ليست كلمة تقولينها، لازم عمل تقومين به لكي تصلي أن تعتقدي أن القرآن لا ريب فيه. ماذا أفعل؟

أربع خطوات توصلنا إلى أن نعتقد القرآن لا ريب فيه ويدفع عنا الشك:

الخطوة الأولى: تذكير أنفسنا الدائم أنه كلام الله.

الخطوة الثاني: أن نصدق في عبادة الاستعانة بالله وقت دخول العبد على قراءة القرآن، فقولك (بسم الله الرحمن الرحيم) لا يكفي أن يكون باللسان، يجب أن يكون اعتقاداً بالجنان، فيكون في قلبك حقاً استعانة.

الخطوة الثالث: -يسبق الاستعانة- أن نصدق في عبادة الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

الخطوة الرابعة: أن تتدبري، هذا التدبر رزق من عند الله، فماذا يكون حال العبد؟ يلزم لا حول ولا قوة إلا بالله، يطلب من الله الحول والقوة.

إذاً القرآن وصفه أنه لا ريب فيه، والشيطان وسيلته على ابن آدم تشكيكه في القرآن، ومن شك في صحة القرآن، كفر، الشيطان يحتال على بني آدم، ويُلقي عليهم الشبه، مثلاً في الأخبار التي يسمعوها، في أخبار لا يتصورها أو في أخبار يسمعوها هنا ويقرؤونها هنا ويشعرون أن هناك اختلاف بين هنا وهنا، لضعفهم في العلم، ضعفهم في التدبر، ضعفهم في اليقين.

الحل؟ مجموعة عبادات أدخل بها على القرآن، التدبر إجمالاً يحل المشكلة، لكن كيف أصل إلى التدبر؟ ممكن أسمع معاني الآيات ولأن القلب مليء بالشك لا يصدق حتى هذه المعاني، فعلينا بالعبادات التي أمرنا بها..

أول عبادة أمرنا بها أن نعتقد أن هذا القرآن كلام الله، فذكر نفسك دائماً أنه كلام الله، استعذ عبد الله بالاستعاذة، استعن عبد الله بالاستعانة، وهي الكلمتين التي نقولها مدخلاً لقراءة القرآن وأمرنا بها، نستعذ بالله من الشيطان الرجيم ونستعين به سبحانه وتعالى على القراءة. لا تحمل عبادة الاستعاذة وعبادة الاستعانة. ثم من أجل أن يكون عندك القوة النفسية التي بها تصل إلى استقبال معاني القرآن عليك أن **تطلب الحول والقوة** من الله، لا هي بقوتك أن تفهم ولا بجهدك، أنت تقرأ كلام المفسر عشر مرات وما أعطاك الله عز وجل الفهم ولا تفهم، لكن عندما تستعين يفتح أبواب القلب للحق فينصرف عنك الشك.

وهناك أربع أمور نحذرهما من أجل أن نحقق اليقين فلا يقع في قلبنا الريب:

الأمر الأولى -وهي مهمة جداً-: أطروحات الشك التي تُطرح عن طريق الوسائل (وسائل الإعلام أو الكتب أو الصحبة الفاسدة)؛ هذه من أخطر ما يكون على الإنسان، يعني هناك أشخاص ابتلوا بصحبة في قلوبهم شك، فماذا يفعلون لك كل

يوم؟ يشككوك، يقرؤون ويقولون لك (ما معنى كذا، وإن كان هذا حق فلماذا قال الله في آية كذا كذا؟! هذا يأتي من بني جلدتنا من أبنائنا من الناس الذين معنا! إما لفساد قلوبهم أو لسيطرة أحد عليهم، اليوم نحن لا نحتاج أوادم يفعلون هذا الفعل، بين يدي الناس الكتب، بين يدي الناس الوسائل الحديثة التي تُلقِي عليهم الريب والشك، لا تثق في نفسك لحظة؛ لأن الشُّبه خطّافة، تقرأها تقول ما هذا الكلام الغاضي، بعد شهر تكون استولت على قلبك! وهذا كلام معلوم بالتحجيرة موجود، كثير تاهوا وبعُدوا عن الطريق بسبب جرائهم على فتح أبواب الشك على نفوسهم، على أنهم واثقين من عقيدتهم، كن حذراً، عليك أن تغلق أطروحات الشك تماماً، لا تفكر أبداً.

في كثير من المقاطع الصوتية أو المقاطع المرئية فيه كلمات تجذب أو كلمات تثير، فيثار الشباب ويجرون وراءها فيفتحون ويسمعون كلمة تفسد عليهم عقيدتهم! ووصل الحال أن نقرأ (لماذا تركت الدين لماذا تركت الإسلام!)، أنتم متصورين اليوم أصبح الأمر لنشر الباطل أيسر ما يكون، يعني الشاب التافه في قعر بيته يسجل تسجيلاً يصل للعالم كله وهو يفسد المسلمين.

إذاً هذا الأمر الأول الذي نحذره: أطروحات الشك، سواء كانت من صحبة أو كانت من اضطلاع خاص، ما يقع في قلبك أنك متأكد من نفسك أنك لا تشك، لأن الشُّبه ما وصفها؟ خطافة تحفظ قلبك وأنت لا تعلم، والنبي صلى الله عليه وسلم كان من سنته أنه كان يقول يدعو: **(إِيَّا مُقَلَّبِ الْقُلُوبِ تَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)**^١ اللهم ثبت قلوبنا على دينك.

الأمر الثاني: الشكوك والظنون التي يلقيها الشيطان في النفس ويعززها بالأدلة.

فأول ما تبدئين التركيز في القراءة يشكك الشيطان، فيصبح عندك خوف من هذا الذي يلقيه، فتؤثري أن تقرئين القرآن بغير تدبر على أن تقرأيه بتدبر! ويلقي عليك هذه الشبه، وهذه حيلته على الناس كلهم.

ماذا أفعل مع هذه المرحلة من مراحل علاقتي بالقرآن؟

الاستعاذة عبدت الله بها هناك، وتعبدي الله في كل موطن يأتيك هذه الحال.

والأمر الثاني نحذر أن نستسلم لوساوسه، اعرضي عن الأفكار مع الاستعاذة وأصري على أن تفهمي.

^١ "سنن الترمذي" (كتاب القدر / باب ما جاء أنَّ القلوب تَبَّتْ قَلْبِي الرَّحْمَنُ / ٢٢٩٠) قال الألباني صحيح.

والأمر الثالث: تقولي لنفسك إن في العلم لبيان وبه يُطرد الشك، لا تتصورى أن الذي مرره عليك الشيطان لا جواب له، إنما بعد أن تقفي هذا الموقف الحازم مع نفسك ومع الشيطان، يندحر عنك اللعين، قولي لنفسك بعد ما أنتهي من قراءة هذه الآيات وفهمها سأبحث وسأجد كلام للعلماء يبين حقيقة هذه الآيات ويطرد عني الوسوس والشيطان لكن لا تستسلمي.

الأمر الثالث: احذر من التعالم، طرح آرائي في الآيات على الناس وتقريرها حقائق، يأتي أحد له علم معين، مثلاً له علم في الرياضيات له علم في الفلك له علم في الجغرافيا، وهو يقرأ في الآيات تبين له من رأيه أن هذه حقائق، حقائق الأعداد في القرآن افتراضي، وشعر أن هذه الحقائق جميلة ومبهجة وانتشى هو بالاكشاف الذي يراه لنفسه، فيعرض هذه الحقيقة على الناس ويتعامل معها على أنها جزءاً حقيقياً، ثم لأي سبب أو لأي حال يظهر أن هذا الكلام ليس صحيحاً، أو يردّ عليه الناس، أو يأتي أحد يقول له هذا الأمر لا تستطيع أن تسلّم به، فيحصل شك في آيات الله.

مثلاً من الاختراعات التي اخترعوها إياها، لما حصلت أحداث ١١ سبتمبر قالوا انظري آية ١١١ من سورة التوبة! هذا كلام فاسد، مع الزمن يأتي بالشك والريب تجاه القرآن، في بدايته الناس ينتشون ويشعرون أنه جميل وأن القرآن صحيح لكن مع الأيام تضحل هذه الحقائق وتذهب ويظهر عكسها، مثل أي أطروحة علمية تكون في منشئها في مبدئها مجرد نظرية يأتون بها ويلوون عنق النصوص عليها، بعد أيام يفسدوها وينكروها فيحصل الشك في القرآن، سبب هذه المسألة التعالم.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^١ الضمير في **أَنَّ الْحَقَّ** يعود على القرآن، وهو للكفار، إذا وصلنا إلى نتيجة: وأنت مؤمن يكفيك شهادة الله، أما أهل الشكوك فالله عز وجل يريهم.

الأمر الرابع: وهي من الأمور التي نحذرنا حذر شديداً اليوم خاصة: الطرق التي يُحفظ بها القرآن ولا يعتنى فيها بالتدبر فإنها تسبب للحفظ كثيراً دخول الشك إلى القلب. فالشباب الذين أهاليهم وأوضاعهم فيها شيء من الاستقامة يُجبرون في كثير من الأحيان على حفظ القرآن ويصبح يحفظه بطريقة ليس فيها تدبر ولا تعظيم، فيها (أف) وفيها أن يلقي المصحف! وفيها أن يقول لك أنا أكره، ويمكن يعبر بالتعبيرات التي تخرج معه، فيها هذا كله بحيث أنه في نهاية الأمر يصبح بينه وبين القرآن

^١ [فصل: ٥٣]

عداء! وينتهي الأمر بأنه يزول من قلبه تعظيم القرآن واليقين بأنه كلام الله ويصبح يتكلم على القرآن بما يُدخل عليه الشيطان ويجعله يستولي على قلبه.

إذاً علينا رعاية أمور في مسألة الحفظ، نحن لا نريد أن نترك أولادنا على هواهم لكن كونوا على يقين أن أبناءنا يملكون عقولاً ناضجة منذ صغرهم، فعاملوهم بما يليق بعقولهم، وأفهموهم كلام الله، ثم اطلبوا منهم أن يحفظوا، استعملوا قواهم التي وهبهم الله إياها، حيث أعطاهم قوة في الحفظ.

هذا الأمر إذا استقام عند المعلمين والمعلمات والمربين والمربيات يستلزم أمراً آخر وهو : معرفة أن هناك من الأبناء من يعاني صعوبات في التعلم، فأنت الآن عندك أربعة من الأبناء حفظوا ثلاثة منهم والرابع الذي في الوسط الذي في الأول الذي في الأخير ما هو راضي يحفظ، هذا تعبيرنا نحن (ما هو راضي يحفظ)، لكن الحقيقة ممكن تكون (غير قادر أن يحفظ) وفيه فرق شاسع بين هذا وهذا ! فلما نتعامل مع هذا الذي لم يعط قدرة على الحفظ كالتعامل مع من أعطاه الله القدرة، نكون أنهكنا قواه وقلبنا مشاعره تجاه القرآن وربما أورثناه الشك في القرآن فلا يعظمه حق التعظيم فنكون نحن جنينا عليه.

لو تعودوا إلى الزمن الماضي إلى زمن العلماء إلى زمن النهضة في عصور الإسلام هل كل الناس كانوا يحفظون القرآن؟ لا، هل كل الناس كانوا علماء؟ هل كل الناس كانوا يقرؤون ويكتبون؟ الجواب لا، الله خلقنا مختلفين، ليس كلنا عندنا قدرة حتى على القراءة والكتابة، ولذلك بيوتنا تحمل كثير من الطلاب الذين عندهم صعوبات تعلم لكن لا أحد يعتني بهم على أنه من الواجب عليك يعني من الواجب عليك، تدرس يعني تدرس وليس هناك نظر أنه ماذا أعطى الله هذا الولد من قدره؟! يعني لو أتت على القراءة والكتابة لا بأس يكره القراءة والكتابة ما في مشكلة يتعدها، لكن لما يقع في قلبه بغض للقرآن من المسؤول عن ذلك؟! من أرادت أن تتفاخر به ابنك حافظاً للقرآن، لكن أحد يقول لك أنا ما أردت التفاخر أنا أريد أن أبحيه؟ نبحيه بصحة معتقده وليس بمجرد حفظه للألفاظ.

يجب أن نكون على حذر ونحن مربين من أن نوقع أولادنا في الشك، فمجرد أن نجعلهم يتلون الآيات دون أن يفهمون المعاني فنقع في خطر عظيم.

أمامنا أمرين تجاه أبناءنا:

١. يجب أن نعتني بتفهمهم كلام الله.

٢. أن نعتني بقدراتهم.

الآن الطالب في أول ابتدائي يدرس الرياضيات والعلوم وما يفهم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾! من يدرّس سورة مثل سورة الفيل سواء معلّمة أو أمّ ماذا تقول لابنها وهي تحفظه ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ على ماذا التركيز؟ غالب المعلمين على الفيل، قضيتي في السورة الفيل؟! أو قضيتي في السورة ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾؟ وليس الفيل بل بأصحابه، حتى الفيل هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه لما حبست القصواء قال الصحابة عن القصواء أنها خلأت قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿مَا خَلَّتِ الْقَصَوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخَلْقٍ وَلَكِنَّ حَبْسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ﴾¹. إذاً الفيل حبسه الله.

فالأية تقول لك ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يعني بقلبك ﴿كَيْفَ فَعَلَ﴾ فأنا تركيزي على فعل الرب، ثم أتت باسم الرب هنا هذا دليل على عنايته بقريش، ربك الذي ربك ورباهم انظر كيف فعل بأصحاب الفيل، ألا يدل هذا على مكانة البيت؟ ألا يدل هذا على أن الله عز وجل يحفظ الخلق؟ ألا يدل هذا على وعلى.. أمور في عقيدتك في الله؟! ولذلك قيل لك ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ يعني أنت مأمور أن ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، فكيف تُدرّس مثل هذه السورة من شخص هو بنفسه لم ير كيف فعل ربه بأصحاب الفيل؟! ولم يفكر كيف جعل كيدهم في تضليل؟! ولم يبين في قلبه أن الله هو الذي يدفع كيد الكائدين ويحفظ عباده، وهو سبحانه وتعالى ولي الأمر ومدبره، وهو كما أنه حفظ النبي صلى الله عليه وسلم وهو اليتيم كاد هؤلاء وهم العظماء بطير أبييل. وكلام كثير ليس موطن أن أشرح بالتفصيل..

المقصود هذا نموذج لسورة إذا حُفظت، بنّت عقيدة في نفس الابن، لكن أنتم معي تتلمسون أن العيب فينا، ثم خرج الجليل من ضعيف إلى أضعف! وإلا فقط لو اعتنينا بحفظ جزء عمّ لخرج لنا أبناء عقيدتهم تامة الاستواء، سوية تماماً لأن كل الذي تريدون قوله في عقيدة ابنك موجودة في جزء عمّ، في جزء تبارك على أقصى حدّ، ويُحفظ آية الكرسي ويُحفظ أواخر سورة البقرة قيتّم له الاعتقاد الصحيح، فبدل ما يحفظ القرآن كله وليس عنده عقيدة صحيحة، اجعليه يحفظ جزء عمّ وهو عنده عقيدة صحيحة، ثم إن وهبه الله ملكة على الحفظ نفعه بها، وإن لم يملك ملكة على الحفظ ينفعه الله عزّ وجلّ بما يحفظ.

¹ "صحيح البخاري" (كتاب الشروط / باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط / ٢٧٣١ و ٢٧٣٢).

ثم إننا لما نرى الواقع عند الكبار المجتهدين الذين يذهبون يومياً إلى مدرسة التحفيظ ثم يُبارك لهم أنهم ختموا وأنهم أُجيزوا أحياناً، نأتي بعد فترة غالب الحفاظ نقول تدخل برنامج مراجعة، برنامج المراجعة بالنسبة لكثيرين يعتبر برنامج حفظ كأنه من جديد! أين ذهبت الجهود؟! هذه كلها وقائع لا نريد نغمض أعيننا عنها، نريد نحل المشكلة التي نعيشها، فليس معقول كلنا نقوم بنفس الخطأ في سلسلة متصلة، مجرد أن المجتمع هذا وضعه.

أهم شيء الآن مشكلتنا مع الأبناء ، أخطر شيء، عقائدهم كيف تُبنى من القرآن، نسأل الله عزّ وجلّ بمنّه وكرمه أن تكون هذه الطريقة وسيلة للوصول لهذا الأمر، لكن بداية الأمر لازم نفهم لماذا نتعامل مع القرآن؟ نريد أن نبني الإيمان فنصل إلى درجة الإحسان، من القرآن يُبنى الإيمان.

كذا أخذنا وقتاً كافياً في مناقشة صفة من الصفات وهي (لا ريب فيه) نكتفي اليوم بهذا، إذا تيسر لنا غداً نأخذ صفة أخرى ونناقشها، والأمر أوسع من هذا، من أن نناقش صفة في مجرد نصف ساعة أو حتى ساعة، لكن قصدي أن ننظر للصفات ونجعلها أمام أعيننا ونقول : هذا الذي وُصف به القرآن يجب أن يكون مستقراً في الوجدان.

يقول الله عزّ وجلّ لك أن هذا القرآن بشري، هُدى، شفاء، رحمة، يجب أن يكون مستقر في الوجدان هذه المشاعر، وليس مجرد كلام نقوله بألسنتنا.

بداية الطريق أنك تفهمي نفس الصفة، تفهميها فهم جيداً تفهمي كيف تصلي إلى أن توصلي نفسك لشعورك أنه شفاء.

كل صفة لها طريقها، مثلاً لو أريد أقول القرآن شفاء لما في الصدر معناه سأضع يدي على قلبي وأقول ماذا يحمل القلب من أمراض؟ والله وصف في القرآن ماذا يحمل القلب من أمراض، من الأمراض أو من البلاءات التي ابتلي بها كل الخلق (الشح) هذا بلاء موجود في نفوس الخلق كلهم، ثم المؤمن ماذا يفعل في نفسه؟ يعالجه، والمنافق يتركه ينمو، والكافر لا يُسأل عنه، القرآن فيه شفاء لهذه الصفة، فأنت تسمع في القرآن مدح المنفقين، تسمع في القرآن ماذا يفعل الله للمنفقين، تسمع في القرآن نسبة النعم إليه وأنت ستفق مما أعطاك الله عزّ وجلّ، تسمع في القرآن ذمّ لأهل الشح وتسمع هذا بتكرار، وكيف أن الله عزّ وجلّ يستقرضك قرضاً حسناً، وكيف يمدحك إذا أنفقت، وكيف تكون من المتقين، إذا جعلت آيات القرآن أمام عينيك وصبيتها على قلبك صباً متتابعاً وأنت تقرأ وتقول في نفسك هذا وصف من أنفق، هذا ثواب من أنفق، هذا جزاء من أنفق، وهذا مكان من أنفق، هذا ذمّ من كان شحيحاً، هذا عطية الله لمن أنفق، إذا قلت لنفسك هذا وكررت وكلما ختمت ناقشت نفسك بهذه الصفات، لا بد أن يكون هذا شفاء لهذا المرض.

القرآن شفاء من كل مرض شفاء من كل داء، شفاء لما في الصدور. داء مثل داء الكبر تقرأ في سورة الأعراف ما يعالجه، لو قرأت بوضوح وجعلت سورة الأعراف أمام عينيك وتاملتها وكررتها وقرأت قصص الأنبياء وأقوامهم وكيف ردّوا على أقوامهم.. ستري علاجاً للكبر في الأعراف، كما أنك ترى علاجاً للهوى في الأعراف لأن الكبر سببه اتباع الهوى، إلى أن تجد في

الأعراف ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا فٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغٰوِيْنَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ

شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوٰنَهُ ﴿١﴾ فتجدي أن السورة كلها تدور حول معالجة الكبر الذي سببه الهوى، وإذا كررت وكررت على نفسك كان شفاء، لكن أنت بأي عين تنظر إلى القرآن؟ هل تراه شفاء؟ إذا كنت تنظر إليه على أنه شفاء ستجده شفاءً، أما إذا لم تفهم معنى شفاء، وهذا الأمر غير متبين في ذهنك ولا تعرف ما هي الأمراض، فسيمر عليك الداء ويمر عليك العلاج والدواء والأمر ليس على بالك.

الموضوع واسع لكن في كل موطن تسمعين فيها عن وسواس الشيطان وسوسته وكيف أمر الله عزّ وجلّ بالتوكل وكيف نهانا عن الاستسلام له ستجدينها في القرآن وسيكون العلاج محصور في أربع خمس خطوات موجودة في القرآن.

الأحزان التي تُصيب الإنسان تسمع في القرآن عنها، الاكتئاب الضيق تسمع في القرآن عنها وتسمع عن المخارج، لكن نحن تعودنا على أننا لازم نسمع كلام طويل على موضوع، لكن كلمة أو جملة لا تأتي لنا بالنتيجة هذه هي المشكلة.

على كل حال المقصود أن هذه الصفات من تتبعها سيحدها موجوده في القرآن، ما المطلوب منا؟ تعظيم القرآن إذا عظّمناه معناه نعتقد أنه عظيم، كيف تعتقدون أنه عظيم؟ اجمعي كل وصف وُصف به القرآن واجعليه في وجدانك، هكذا تصلين إلى تعظيم القرآن، رحمة شفاء هدى لا يرب فيه، إلى آخر ما تسمعون في أوصافه العظيمة. لكن الأمر يحتاج إلى اجتهاد، الأمر ليس مطالعة وليس جرائد تقرأونها، ليس كلام تقرأوه وتتصورون، يعني في الجرائد تقرئين عمود كامل ولا تخرجين منه بكلمتين! القرآن تقرأينه حرفاً حرفاً، فتجدين وراءه المعاني والعطايا التي يهبها الله عزّ وجلّ لقلوب الخلق ما وراءه، لكن المحروم من حُرْم الانتفاع بالقرآن، شقي نعوذ بالله من الشقاء.

^١ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]

إذاً أول خطوة للوصول للإحسان مع القرآن : تعظيم القرآن.

ومما يدلّ على أن التعظيم طريق: أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ جَمَعَ الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةٍ - كان يعلمهم القرآن - فَعَظَّمُ الْقُرْآنَ - أولاً - وَقَالَ: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَأَنَّ لَكُمْ دُخْرًا، وَكَأَنَّ عَلَيْكُمْ وِزْرًا، فَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ وَلَا يَتَّبِعْكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ هَبَطَ بِهِ عَلَى رِیَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ رُجِحَ فِي قَفَاهُ، فَقَدَفَهُ فِي النَّارِ"¹.

يعني أنت الآن مع القرآن في واحد من حالتين: أما أن تعظمه وتكون تابع له يهبط بك على رياض الجنة، أو تجلس للقرآن لكن لا يكون في قلبك تعظيمه فيكون عليك وزراً، فماذا يفعل بالإنسان؟ يزجه في قفاه، يكون وراءه فيقذفه في النار والعياذ بالله.

مرة أخرى: أول خطوة في التعامل مع القرآن لنصل إلى درجة الإحسان أن تعظمه، ما الطريق لتعظيمه؟

تتبع أوصاف القرآن في القرآن واجعلها في وجدانك، افهمها فهماً صحيحاً وعاشها (شفاء، هدى، رحمة) ، الطريق واضح يحتاج فقط إلى جهد.

نأتي إلى الخطوة الثانية -وهي طويلة-:

الخطوة الثانية : اسلك منهج من سلف؛ تكن خير خلف

مطلوب منا في كل طاعة وعبادة أن نأتي بشرطين هما الإخلاص والمتابعة.

الإخلاص نسأل الله أن نحققه بتعظيم القرآن، بقي علينا المتابعة، بمعنى أن تعاملك مع القرآن حفظك له قراءتك له ليس كما اتفق! يعني أي أمر سنؤسسه في مدرسة تحفيظ في جماعة المسجد في البيت الذي يحفظ، الطريقة التي تتبعها في حفظ القرآن يجب أن تكون موافقة لما كان عليه السلف، على أقل تقدير لا تكن مخالفاً لما عليه السلف، لأن عندك وسائل تستخدمها مختلفة عن وسائلهم لكن في نهاية الأمر ستجدي الأمر واحد.

¹ ابن كثير، مقدمة تفسير القرآن العظيم

يعني مثلاً السلف كانوا يهتمون بسماع القرآن لكن كيف كانوا يسمعون القرآن؟ على شيخهم، أنت الآن تستطيعين أن تسمعي القرآن بالوسائل، فأنت في النهاية تجدي أن نفس المنهج يجب أن أسير عليه لكن الفرق في أدوات تطبيق المنهج، هذا الكلام معناه أن كل أطروحه تطرح أو كل فكرة تطرح في مدارس التحفيظ لا تستقبلوها بانهم وبدون تفكير.

الطريق للتعامل مع القرآن يجب أن يكون على منهج من سلف؛ لأن حفظ القرآن عبادة والعبادة كما اتفقنا لها شرطين: الإخلاص والمتابعة، فأنت عليك أن تخلص بعمل قلبك وعليك أن تتابع بمن سلف، فلما تأتي موضحة فكرة أطروحة لحفظ القرآن عليك أن تفحصها فحوصاً جيداً هل هذه فيها أي فكرة تخالف ما كان عليه السلف؟ بنوا مبنى لكى نحفظ، هذا لا يخالف ما عليه السلف ما له علاقة، نحن لنا علاقة بالطريقة، عندنا فصول تحمل خمسة طلاب عشرين طالب، عدد أكبر عدد أقل هذا ما له علاقة، هذه كلها بتعبير اليوم اسمه فنيات للوصول إلى الحفظ، لكن نحن نقصد الطريقة أصلاً.

يعني فرق كبير بين أني أعمل مدارس وأبني مباني وأفتح فصول، وبين أن أقول للناس تعالوا احفظوا القرآن في شهر أو في في ثلاثة شهور! فرق شاسع، فالمباني من الوسائل، أما الحفظ في شهر أو ثلاثة شهور هل تخالف لما كان عليه السلف وما أمر الله به؟ نعم؛ لأن الله عز وجل قال لنبيه لا تعجل بالقرآن! فكيف أنا أسيس سياسة ضد ما أمر به نبيه وضد ما كان عليه السلف وضد ما كان مذكور عن ابن عمر! لما يذكر عن عمر أنه حفظ سورة البقرة في ثمانية سنوات وابنه حفظ سورة البقرة في تسع سنوات وقيل في عشر، آتي أنا أحفظ القرآن كله في ثلاثة أشهر؟! أكيد أن الفارق كالفارق بيننا وبين ابن عمر في النتيجة. إذاً الأطروحات تلزم أن أكون سائرة على منهج السلف، فنحن بقدر ما نستطيع الآن سنناقش منهج السلف وكيف كانوا.

وسأعيد عليكم مرة أخرى أنه عندما نتفق على برنامج الإحسان -أعيد عليكم مراراً وتكراراً- في أثناء البرنامج سأقول أولاً وثانياً وثالثاً، لكن بعدما تتمكنوا من الطريقة وتفهمومها وتعرفون موافقتها لمنهج السلف وتعرفون الطريق الذي تسيروا فيه سيسقط أولاً وثانياً وثالثاً، ثم ستكون عملية تلقائية، لأننا نخشى أن تتحول البرامج المطروحة حول منهج السلف إلى بدعة تحجزنا عن منهج السلف! المقصود فقط ترتيب الأفكار، نريد أن نرجع كما كنا، سيكون هناك عوائق لأننا تعودنا في مدارس التحفيظ أن نفعل ونفعل ونفعل، فلكي نخرج من هذا الذي تعودناه لازم نقول افعل وافعل وافعل، ابتداءً، لما تتمرن تسقط هذه، فعندما نطرح هذه الطريقة على المعلمات يقولون في الحصة الأولى ماذا أفعل، في الحصة الثانية ماذا أفعل، في الحصة الثالثة ماذا أقول؟ ثم لما تتضح الأهداف قم بالطريقة التي تناسبك للوصول للأهداف، نتعاون بالطريقة كيف نصل إليها، لكن في نهاية الأمر تجد أن الأهداف هي التي بين عينيك ومطلوب منك أن تنفذها.

منهج السلف مع القرآن:

(أ) السلف خلصت نيتهم.

وهذا يردنا على أول الأمر، يعني مرة أخرى لما تريد أن تتابع السلف قصتك في قلبك، عليك أن تكون مخلصاً في حفظ القرآن.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا وَنَحْنُ نَقْتَرِيءُ -مجتمعين يفترون-، فَقَالَ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ كِتَابُ اللَّهِ وَاحِدٌ، وَفِيكُمْ الْأَحْمَرُ وَفِيكُمْ الْأَبْيَضُ وَفِيكُمْ الْأَسْوَدُ - هذا دليل على اختلافهم الذي يشير إلى اختلاف ألسنتهم هذا هو المهم-، اقرؤوه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله))^١.

يقيمونه كما يقوم السهم المقصود من جهة الحروف، لكن من جهة القلب يتعجلون أجره ولا يتأجلونه.

قال صاحب عون المعبود: "(وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ) أَي يُصْلِحُونَ أَلْفَاظَهُ وَكَلِمَاتِهِ وَيَتَكَلَّمُونَ فِي مُرَاعَاةٍ مَخَارِجِهِ وَصِفَاتِهِ (كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ أَوْ السَّهْمُ) أَي يُبَالِغُونَ فِي عَمَلِ الْقِرَاءَةِ كَمَالَ الْمُبَالِغَةِ لِأَجْلِ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَالْمُبَاهَاةِ وَالشُّهْرَةِ".

فأول أمر يجب أن نتفق عليه لأنفسنا وللمن ندرّس: أن مثل هذه الأمراض يجب أن تخرج من قلبك أنت كمعلم ومن قلبك أنت كطالب، المشكلة أول ما نجتمع في الحلقة كل تفكيرنا أنا بالنسبة للناس، سواء كنت أنا معلم أو كنت طالب مع زملائي، أنا بالنسبة لزملائي، أنا بالنسبة لمعلمي، أو المعلم بالنسبة لطلابه، فإذا ما استطعت أن توجد قلباً مخلصاً بعيداً عن الرياء والسمعة، تبعك القرآن فكان وزر وليس أجر! أمر خطير. وهذا يدكرنا بالحديث المشهور أن أول ثلاثة تسعر بهم النار قارئ حافظ القرآن.

(يَتَعَجَّلُونَهُ) أَي نَوَابَهُ فِي الدُّنْيَا (وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ) بِطَلَبِ الْأَجْرِ فِي الْعُقْبَى، بَلْ يُؤَثِّرُونَ الْعَاجِلَةَ عَلَى الْأَجَلَةِ وَيَتَأَكَّلُونَ وَلَا يَتَوَكَّلُونَ^٢. يتأكلون كما ذكرنا أمس معناها جعلوا القرآن طريقهم للشهرة للعلو لرفع مستواهم عند الناس.. إلى آخره.

قَالَ الطَّبَيْبِيُّ: "وَفِي الْحَدِيثِ تَحَرِّيِ الْحِسْبَةِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الْعَمَلِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ وَالْعَوَظِ فِي عَجَائِبِ أَمْرِهِ".

^١ [أبو داود/ ما يجزي الأمي والأعجمي من القراءة/ الألباني: صحيح]

^٢ عون المعبود

يعني لا تتعجل إنما تفكر في معاني القرآن، وتحري الحسبة ما المقصود بها؟ يعني احتسب الأجر على الله وأنت تقرأ القرآن وتحفظه.

(ب) السلف كان غرضهم الأعظم من التعامل مع القرآن هو زيادة الإيمان، فكان أثره عليهم هو زيادته.

ما غرضك وأنت تقرأ القرآن؟ الغرض الأول أنا اقرأ القرآن أحسب على الله الأجر في قراءتي للقرآن، وأنا اقرأ القرآن وأنظر إلى ألفاظه ومعانيه تركيزي على أن أصل إلى زيادة الإيمان.

قَالَ حُدَيْفَةُ-رضي الله عنه-: "إِنَّا قَوْمٌ أُوتِينَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نُؤْتَى الْقُرْآنَ، وَإِنَّكُمْ قَوْمٌ أُوتِيتُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تَوْتُوا الْإِيمَانَ".

هذا في سياق مدح من سلف ودم من خلف، كيف يؤتى الإيمان قبل أن يؤتى القرآن؟ -أمس اتفقنا على ذلك واليوم أعيده مرة أخرى- الإيمان المجمل.

ما هو الإيمان المجمل؟ ستمثل حال النبي صلى الله عليه وسلم مع الصحابة، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وعلم الصحابة أن لهم ربّ عظيم صفاته صفات الكمال، ملك كريم، يدبّر الأمر، والملك العظيم الكريم له ملائكة وله عرش عليه استوى، والملك العظيم أرسل رسلاً وأنزل كتباً، والملك العظيم ستلقونه لابد، فوصف لهم معاني الإيمان بصورة مجمل، فوفرت في قلوبهم وصدقوا أن ربهم عظيم كامل الصفات، ونظروا حولهم فرأوا آثار كمال صفاته سبحانه وتعالى، بدأوا يقرؤون في القرآن، تأتي الآيات تبني هذا الأصل الذي كان موجوداً.

ماذا سنفعل نحن مع أبناءنا ومن نربيهم؟ أولاً الإيمان، نكلمهم عن الإيمان عن عظمة الله، وهم يحفظون آية الكرسي ولا يجدون في قلوبهم تعظيم لله، يقرؤون الفاتحة ولا يفكرون في (اهدنا الصراط المستقيم)، يحفظون المعوذات لمجرد التحصين دون أن يكون في قلوبهم اعتقاد أن الله (رب الناس وملك الناس وإله الناس) فلذلك تأتي آيات القرآن ما تبني شيء موجود، كأنها على ماء وليست على أرض صلبة صخرة. إذن أنت تقرأ القرآن من أجل أن تزداد إيماناً، وهذا سيكون أهم شيء بالنسبة لنا ونحن نناقش الطريقة.

وَعَنْ جُنْدُبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "كُنَّا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غِلْمَانًا حَزَاوِرَةً -يعني قريب سن البلوغ-، تَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا"^١.

هذا الذي نتأمله ونرجوه نتعلم القرآن فنزداد إيمانًا.

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: "لَمْ يُجَالِسْ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي فَضَى: ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾"^٢.

يعني مقصود قتادة أن الله قضى هذا الأمر، تجلس مع القرآن إما تخرج بزيادة أو نقصان، ما في حل وسط، دليله على ذلك ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا الشق الأول شفاء ورحمة سيزيدهم، والشق الثاني ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ما في حل ثالث، يعني يا تجلس مع القرآن وتقوم عنه وقد زاد إيمانك، أو تقوم عنه وقد نقص إيمانك.

(ج) السلف همهم الفهم وليس الاستكثار من الحرف.

مسائل مرتبة على بعضها: أكثر ما يهمهم زيادة الإيمان، ولكي يزيدوا إيمانًا يحتاجون أن يفهموا، فكان هم السلف الفهم وليس الاستكثار من الحرف.

فهذا ابن مسعود-رضي الله عنه-الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ))^٣ يخبرنا بذلك فيقول: كَانَ الرَّجُلُ مِمَّنَا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ^٤.

^١ التفسير من سنن سعيد بن منصور

^٢ [الإسراء: ٨٢]

^٣ [ابن ماجه/ فضل ابن مسعود/ الألباني: صحيح]

^٤ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَافِعِ بْنِ لَبِيبة قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: "قَرَأْتُ الْمَفْصَلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ: أَفَعَلْتُمُوهَا؟ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ شَاءَ أَنْ يُنَزِّلَهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فَعَلَّ، أَعْطُوا كُلَّ سُورَةٍ حَظَّهَا مِنَ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ"^١. لا تتعجل حتى في تلاوته لا تتعجل.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقْرَةَ فِي لَيْلَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ"^٢.

وَعَنْ أَبِي جَهْرَةَ، قَالَ: "قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ مَرَّةً، أَوْ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: فَأَكْثَرُ ظَنِّي أَنَّهُ قَالَ: مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِأَنَّ لَا أَقْرَأُ إِلَّا سُورَةً وَاحِدَةً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَصْنَعَ ذَلِكَ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ فَاعِلًا، فَأَقْرَأْ قِرَاءَةً تُسْمَعُ أُذُنَيْكَ، وَتُوعِيهِ قَلْبُكَ"^٣.

لكي توزن نفسك، وصل الناس أن يقرؤوا بدون أن يحركوا شفايفهم وهم لا يعلمون أن هذه القراءة لا أجر فيها! يعني هذه قراءة ليست هي القراءة التي تعتبر قراءة، القراءة يجب أن تكون فيها حركة الشفة، لكن الحد الفاصل: اقرأ قراءة تسمع أذنيك وتعيها قلبك، فإذا فعلت فلن تجد نفسك تستطيع أن تقرأ المفصل في ليلة ولا تستطيع أن تقرأ القرآن في ليلة، إذا كنت تقرأ بهذه الصورة قراءة تسمع أذنيك وتعيها قلبك.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَمْ يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ))^٤.

عَنْ أَبِي جَهْرَةَ الصُّبُعِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: "إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ إِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ، قَالَ: لِأَنَّ أَقْرَأَ الْبَقْرَةَ فِي لَيْلَةٍ فَاتَدَبَّرَهَا وَأَرْتَلَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ كَمَا تَقُولُ"^٥. واضح أن همهم ليس استكثار الحرف.

من أجل أن يصلوا إلى الفهم والتدبر استعانوا بعدة أعمال:

^١ السيوطي، الدر المنثور

^٢ البيهقي، شعب الإيمان

^٣ التفسير من سنن سعيد بن منصور

^٤ [ابن ماجه/ إقامة الصلاة والسنه فيها/ في كم يُسْتَحَبُّ جُمْتُ الْقُرْآنَ/ الألباني: صحيح]

^٥ الأجرى، أخلاق حملة القرآن

(١) الترتيل

قال الآجري: "يُنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أَنْ يُرْتَلَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^١ قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: تُبَيِّنُهُ تَبَيِّنًا، وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا رَتَّلَهُ وَبَيَّنَّهُ انْتَفَعَ بِهِ مَنْ يَسْمَعُهُ مِنْهُ، وَانْتَفَعَ هُوَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ قَرَأَهُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْتَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾^٢ أَي عَلَى تُؤَدَّةٍ.

قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ: تُبَيِّنُهُ تَبَيِّنًا: يَعْنِي الَّذِي يَسْمَعُكَ يَنْتَفِعُ هُوَ، يَفْهَمُ الْآيَاتِ، يَفْهَمُ الْخَطَابَ، كَأَنَّكَ تَقْرَأُ قِرَاءَةً تَفْسِّرُ فِيهَا الْآيَةَ، يَعْنِي لَوْ تَقْرَأُ قِصَّةً وَفِيهَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهَا قَالَ الْقَوْمُ، لَا تَجِدُ نَفْسَكَ تَقْرَأُ قِرَاءَةً مَا تَعْرِفُ كَلَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَلَامِ الْقَوْمِ، وَأَحْيَانًا كَثِيرَةً تَصِلُ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ لَا تَذْكُرُ أَصْلًا مِنْ هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي نَقَرَاهُ فِي بَدَايَةِ الْقِصَّةِ.

إذن الترتيل أمر معناه قراءة القرآن مبين، قراءة كأنك تفسر فيها ما تقرأ .

أيضاً استعانوا على الفهم بـ:

(٢) التغني به.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَى بِالْقُرْآنِ))^٣ قَالَ صَاحِبُ لَهُ: يُرِيدُ أَنْ يَجْهَرَ بِهِ^٣

يتغنى بالقرآن فيه معنيين:

المعنى الأول: يعني يصبح به غنياً، يغتنى بالقرآن، فإذا كان هذا المعنى كما ذكر البخاري معناه أن الذي أصبح بالقرآن غنياً لا يفكر في أي كتاب غير القرآن، غنياً بالقرآن استغن به في كل باب، وأصبح إذا كان يريد أن يربي من القرآن ربي فقراً لقمان وتربيته لابنه، وإذا أراد أن يحل مشاكل زوجية قرأ في القرآن في سورة النساء وفي سورة الطلاق وفي سورة التحريم ما يصل به إلى حل المشاكل الزوجية، وإذا أراد أن يصلح النفوس إلى آخره .. اغتنى بالقرآن، هذا معنى "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" أو "لم يأذن الله لشيء ما أذن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتغن بالقرآن".

^١ [المزمل: ٤]

^٢ [الإسراء: ١٠٦]

^٣ "صحيح البخاري" (كتاب فضائل القرآن / باب مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوْمُّ يَكْفُهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُفْهَمُ عَلَيْهِمْ} / ٥٠٢٣).

المعنى الثاني : يجهر به .

فالترتيل تقرأ قراءة كأنك تفسر الآيات التي تقرأها، التغني وأنت تقرأ هذه القراءة تجهر بها .

نرجع مرة أخرى لكلام ابن عباس: "فَأَقْرَأْ قِرَاءَةً تُسْمِعُ أُذُنَيْكَ، وَتُوعِيهِ قَلْبُكَ"، تتغنى بالقرآن ترفع صوتك، تقرأ بالترتيل يعني يعني قلبك ما يقول، وسيأتينا الكلام عن التكرار إن شاء الله..